كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشئون برقم ٨٣٣

العددان التاسع والعاشر	رمضان ، شوال سنة ١٣٦٨ يولية ، أغسطس سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الدينى

« الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر فى قصر رأس التين العـــامر مساء ١٨ رمضان سنة ١٣٦٨ »

قال الله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، و ما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

ما تشتمل عليه الآيات من الأحكام

« ١ » ناقضو العهد وما يجب نحوهم . « ٢ » نبذ العهد عند توقع الخيانة . « ٣ » وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها . « ٤ » فرق الفرسان وأثرها فى الحرب . « ٥ » الحرب الارهابية وأثرها فى حماية المسلمين . « ٦ » الانفاق فى سبيل الله ، أثره فى تكوين الأمة ، الجزاء عليه . «٧» الاسلام دين السلام ، طلب السلم خداعاً ، ائتلاف القلوب وأثره فى قوة الأمة ، تفرق الكلمة وأثره .

معنى المفردات

« تثقفنهم » : أى تغلبهم وتظفر بهم . « فشرد بهم » : أى نكل بهم . «يذكرون»:أى يحذرون أن ينقضوا العهد . « وأعدوا » : الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة . «رباط الخيل»: يعنى حبسها واقتناؤها،أو هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، فهو فعال بمعنى مفعول . « وإن جنحوا » الجنوح الميل ، ومنه قيل للأضلاع جوانح لأنها مالت على الحشوة . والسلم والسلام : هو الصلح ،والسلم مؤنث كمقابله « الحرب » . وقرأ الأعمش ،وأبو بكر ،وابن محيصن ، والمفضل « للسلم » بكسر السين، والباقون بالفتح . « يخدعوك » : أى يظهرون السلم ويبطنون الغدر والخيانة . « حسبك الله » : حسب تستعمل بمعنى الكفاية التامة ، أى كافيك أمرهم من كل وجه .

التفســـــير

فى الآيات السابقة على هذه الآيات ذكر فريقان ممن كانت بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهود ومواثيق،فمن نكثوا العهد وتكررت خيانتهم، أوجب

الله ضربهم والتنكيل بهم ، نكالا يفرق غيرهم ممن خلفهم ، حتى لايجرؤ معاهد على الخيانة ونقض العهد ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

وفريق صاروا غير مأمونين وخيانتهم متوقعة ، وهؤلاء أمر الله بقطع طريق الخيانة عليهم باعلامهم بفسخ العهد حتى يكونوا على علم بأنهم أصبحوا فى حالة حرب مع المسلمين ، ولكن لا تجوز مفاجأتهم بالحرب قبل إعلامهم بفسخ العهد . وقد ذكرهم الله فى قوله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

بعد هذا بين الله للمسلمين ما يجب أن يكونوا عليه من القوة والمنعة ، حتى لا يجرؤ أمثال هؤلاء على الخيانة والاستهتار بعهودهم ، ولا يجرؤ غيرهم على انتهاك حرمات المسلمين ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . وهو أمر من الله تعالى للمسلمين بأن يستعدوا لأعدائهم من هؤلاء وغيرهم بكل ما يستطيعون من قوة . وهو أمر عام لا يختص بزمان ولا بفريق من الناس ، لأن الآية محكمة ، والأمر فيها أبدى دائم .

ولفظ القوة عام فى كل ما يتقوى به على حرب العدو ، وكل ما هو آلة للحرب والجهاد : من الحصون والقلاع ، وأسلحة البر والبحر والهواء ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، بحسب الأزمنة والأمكنة المختلفة ، ومصانع الذخيرة والأسلحة المختلفة ، وكل ما يفيد فى صلاحية الأمة للحرب ، كانشاء معاهد لتعليم فنون الحرب ، والاشراف على الصحة العامة ، وتقوية الأجسام ، وغير ذلك مما يجعل الأمة مخوفة مرهوبة الجانب ، وكل ذلك بحسب استطاعة الأمة ، والقدرة على القيام به .

والرباط فى الآية اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، وخص بالذكر الاستعداد بالخيل مع أن قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » يشمله ، لتوجيه النظر إلى أهمية الخيل فى الجهاد ، وأن لها شأناً عظيما فى المرابطة بها فى الثغور وحدود البلاد ، لسرعة حركة الفرسان ، وقدرتهم على الكر والفر إذا دهم الوطن عدو على غرة .

ولا يزال لفرق الفرسان شأن عظيم فى الحروب ، رغم المخترعات الحديثة من المدرعات وغيرها .

وقوله تعالى: « ترهبون به عدو الله وعدوكم » : إعلام من الله تعالى للمؤمنين بأن الاستعداد للحرب بكل ما تستطيعه الأمة من قوة هو لارهاب أعداء الله الذين يعملون على تعطيل الدعوة إلى دينه ، وإرهاب أعداء المؤمنين الذين يكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ، لأن هؤلاء الأعداء إذا علموا أن المسلمين نشيطون فى دعوتهم إلى دين الله ، وأنهم فى ديارهم متأهبون للحرب ، ومستكملون آلاتها وعدتها ، خافوهم ورهبوهم ، فلا يقدمون على مناجزتهم أو قتالهم ، فالمقصد الأصلى من التأهب للحرب هو حماية الدعوة إلى دين الله ، ودفع العدوان عن المسلمين . أما التعدى على الآمنين المسلمين فليس من مقاصد الاسلام ولا مما يجيزه الاسلام ، يرشد إلى هذا قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » أى لا تبدءوا بالعدوان ولا تعتدوا فى القتال بقتل غير المحاربين من العجزة والشيوخ والنساء والصبيان ومن إليهم ممن لا يحملون السلاح ولا يمدون الأعداء بالرأى فى الحرب .

اختلف المفسرون فى المراد بالآخرين فى قوله تعالى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » على أقوال ، ورجح الرازى ، وابن كثير ما قاله مقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم المنافقون ، وقد كانوا موجودين بين المسلمين

كما جاء فى قوله تعالى : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » والمعنى حينئذ : استعدوا أيها المسلمون بكل ما تستطيعون من قوة ليرهبكم أعداؤكم المعروفون لكم ، وأعداؤكم الذين لا تعرفون أنهم أعداء وهم المنافقون .

وذلك لأن المنافقين فى ظاهر حالهم من المسلمين ، وفى الباطن بخلاف ذلك ، ومن عادتهم تلمس الفتنة ليحتالوا على إشاعتها وإلقاء الافساد فيما بين المسلمين ، فاذا شاهدوا قوة المسلمين وما لهم من كثرة آلات الحرب ، وما أعدوه من العيون والرصد لتعرف حال الأعداء ، خافوا وأقلعوا عن هذه الأفعال الذميمة ، حتى لا ينكشف أمرهم ، وقد صاروا لا مطمع لهم فى أن يغلب المسلمون مع وجود هذه القوة .

والمنافقون وإن كانوا فى الحقيقة أعداء للمسلمين ، بل هم شر على الأمة من أعدائها الظاهرين ، ولكن تفسير الآية بهم وحدهم لا يظهر مع عموم قوله : « وآخرين من دونهم » لأن الآخرين من غير هؤلاء الأعداء المعروفين يشمل الأعداء المستخفين ، ومن لم يعرف من أمرهم شىء وقت نزول الآية ، ولهذا فالراجح حمل الآية على العموم . فقد عرف أنه بعد أن ظهرت قوة المسلمين بعد واقعة تبوك أقبلت وفود القبائل من قلب الجزيرة وأطرافها يعلنون إسلامهم إعظاماً لهذا الدين الذى تدين به وتحميه أكبر قوة فى جزيرة العرب ، ومن غير هؤلاء من قبل الدخول تحت سلطان المسلمين مع خراج يؤديه ، وبعض من هؤلاء وهؤلاء لم يكونوا معروفين بأنهم أعداء أو غير أعداء .

ولما كان الاعداد للحرب يحتاج إلى البذل والانفاق قال الله تعالى : « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » وهو حض من الله للمؤمنين على الانفاق فى سبيل الله ، ووعد منه تعالى بأن ما ينفقونه فى هذا السبيل قل أو كثر يجزون عليه فى الدنيا والآخرة جزاء وافياً .

أما جزاؤهم فى الدنيا فهو ما يصيبهم من خيراتها مع حفظ أمتهم من العدوان الذى قد يمتد أثره إذا كانت الأمة ضعيفة إلى التهلكة ، ويشير إلى هذا قول الله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » والمعنى كما روي عن ابن عباس رضى الله عنه « لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الانفاق فى سبيل الله فيغلب عليكم العدو » .

وأما جزاؤهم فى الآخرة فقد بينه الله فى قوله « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وقال [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير ، والذى يجهز به فى سبيل الله ، والذى يرمى به فى سبيل الله » .

وقول الله تعالى « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله » عام فى الانفاق فى وجوه الخير التى تفيد الأمة قلت النفقة أو كثرت . فالانفاق لدفع المرض والفقر والجهل عن الأمة إنفاق فى سبيل الله لأنه يمكن الأمة من إعداد جيش قوى يقدر على الدفاع والذود عن حماها . والانفاق لانشاء مصانع للذخيرة وآلات الحرب إنفاق فى سبيل الله ، وكل نفقة تفيد الأمة فى حيويتها وقوتها هى نفقة فى سبيل الله .

ولما بين الله تعالى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من القوة التى ترهب أعداءهم ، خاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» واختصه الله بالخطاب فى هذه الآية لأنه هو القائد الأعلى للمؤمنين ، والمرجع الأعظم فى أمورهم فى حالة الحرب والسلم .

والمعنى : إذا كنت فى قتال مع أعدائك أو فى حالة حرب دون قتال ، ومالوا

(١) رواه البيهقى عن عقبة بن عامر « ترغيب ج٢ ص ١٧٠ » .

إلى الصلح والمصالحة فأجبهم إلى ذلك واقبل منهم ، فالاسلام دين السلام . وتوكل على الله بتفويض أمرك إليه والركون إلى أنه عون لك على السلامة .

« إنه هو السميع العليم » المطلع على ظاهرهم وباطنهم ولا يخفى عليه من أمرهم ما يخفى عليك .

والتوكل على الله لا يمنع من الاستعداد وطلب الأمور من أسبابها ، لأن الله تعالى نظم هذا الوجود ورتب فيه الأسباب والمسببات ، والمؤمن المتوكل على الله هو الذى يطلب الأمور من طريق أسبابها الظاهرة ، ويستمد من الله العون والسداد فى الوصول إلى الغاية ، وقد كان ذلك هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر . وإذا لم يعرف المؤمن الأسباب أو لم يهتد إلى معرفتها فانه فيما يقصد إليه يفوض أمره إلى الله ، ويطلب منه السلامة ، وأن يهيء له من الأسباب ما يجنبه طريق الزلل .

وإذا طلب الأعداء السلم ولكن ظهر من حالهم أنهم مخادعون وأنهم إنما يقصدون من السلم الاستعداد وجمع القوى حتى تحين الفرصة فينتهزوها ، فلا يجابون إلى ماطلبوا ، لأنه إذا كان ظهور خيانة المعاهدين يدعو إلى نبذ عهدهم ومحاربتهم كما فى الآية السابقة ، فانه يكون أولى ألا يقبل من الأعداء عهد ينطوى على الغش والخداع .

أما إذا طلبوا السلم ولم يظهر للمسلمين أنهم مخادعون فهذا هو الذى عناه الله بقوله « وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله » وهو تصريح بما أشير إليه فى قوله « وتوكل على الله » يعنى أنه تعالى كافيك خداعهم إياك ، لأنه متكفل باظهار دينه على الأديان ، وأن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى «هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم» وهى نعمة عظمى لك من الله تعالى جمع لك فيها بين النصر الربانى وتسخير المؤمنين لك حيث ألف بين قلوبهم ، وجمعها على الايمان

بك ، وجعلهم أمة واحدة متآلفة متعاونة على طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك ، بعد أن كانوا أعداء ، وبينهم إحن وأحقاد متوارثة ، وحروب كادت تأتى عليهم « لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم» «ولكن الله» الذى بيده ملكوت كل شىء « ألف بينهم » بهدايتهم إلى نور الايمان ، وبعزته وحكمته جعلهم أمة واحدة قوة لهذا الدين ، إنه عزيز حكيم .

وفى هذه الآية إرشاد من الله تعالى إلى أن ائتلاف قلوب المؤمنين واتفاق كلمتهم على خير الجماعة الاسلامية ركن أساسى فى بناء الجماعة الاسلامية وقوتها وعزتها . أما التنازع واختلاف الكلمة وتفرق القلوب فهو مدعاة للفشل والخيبة ، وقد أنذر الله تعالى به المؤمنين فى قوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »أى تذهب قوتكم فيظهر عدوكم عليكم .

اللهم إياك نعبد و إياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم،صراط الذين أنعمت عليهم.

الشكر

قال عبد الله بن عباس : لو أن فرعون مصر أسدى إلي يداً صالحة لشكرته عليها

وقال حكماء المسلمين : إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير ابن حباب :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوما فتـدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثنى عليك فان من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق ياعائشة لا شكر الله من لايشكر الناس .

وأنشد الرياشى :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ولم أذم البخس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشكر باسمه وشق لى الله المسامع والفما

الأحرف السبعة

— ٢ —

المبحث الثالث فى بيان المراد بهذه الأحرف السبعة

قال الشمس ابن الجزرى: وقد اختلفت أقوال العلماء فى المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولا، مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين وإن كان يظن ذلك بعض العوام، لأن السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا، وأول من جمع قراءاتهم: أبو بكر بن مجاهد فى أثناء المائة الرابعة، فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءة السبعة المشهورين أو سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عاريا عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة الأئمة فتوجد عنهم القراءة، ولأدى أيضاً إلى أنه لايجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به. وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ، إماماً عن إمام، إلى أن تتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم. ومع إجماعهم أيضاً على أنه ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه، إذ لايوجد ذلك فى كلمة من المشهور.

وأصح الأقوال وأولاها بالصواب، وهو الذى عليه أكثر العلماء، وصححه البيهقى، واختاره الأبهرى وغيره، واختاره فى القاموس — أن المراد بالأحرف أوجه

من اللغات . وذلك لأن الحرف يطلق لغة على الوجه ، ومنه قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » .

قال الحافظ أبو عمرو الداني : معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ههنا يتوجه إلى وجهين :

أحدهما : أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات ، لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: « ومن الناس من يعبد الله على حرف » الآية ، فالمراد بالحرف هنا الوجه ، أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فاذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً ، على معنى أن كل شيء منها وجه .

والوجه الثاني: أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه ، وما قارب به وجاوره وكان كسبب منه، وتعلق به ضرباً من التعلق ، كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً وإن كانت كلاما كثيراً ، من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ماجاء في المختلف فيه من القرآن، فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف منها حرفاً على عادة العرب في ذلك ، واعتماداً على استعمالها . انتهى

قال الشمس ابن الجزري : وكلا الوجهين محتمل ، إلا أن الأول محتمل احتمالا قوياً في قوله صلى الله عليه وسلم «سبعة أحرف» أي سبعة أوجه وأنحاء . والثاني محتمل احتمالا قوياً في قول عمر رضي الله عنه « سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أي على قراءات

كثيرة . وكذا قوله فى الرواية الأخرى « سمعته يقرأ أحرفاً لم يكن رسول الله صلى الله علية وسلم أقرأنيها » . اه .

ومما يؤيد أن المراد أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة فى التكلم بكتابهم كما خفف عليهم فى شريعتهم ، وهو كالمصرح به فى الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسأل الله معافاته ومعونته » وكقوله : «إن ربى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه أن هون على أمتى ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف » . وكقوله لجبريل : «إنى أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتاباً قط » . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية الاختلاف ، كما هو مشاهد فينا، ومن كان قبلنا مثلنا، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن ، قال تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسر ، إذ لا قدرة لهم على ترك مااعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد ، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة، فاقتضى يسر الدين أن يكون القرآن على لغات . اه

المبحث الرابع فى بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض

اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبى صلى الله عليه وسلم اختلاف تنوع وتغاير لااختلاف تضاد وتناقض ، فان هذا محال أن يكون فى كلام

الله تعالى ؛ قال تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

قال الامام ابن الجزرى : وقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال ، أحدها : اختلاف اللفظ لا المعنى ، الثانى : اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد .

فأما الأول: فكالاختلاف فى الصراط، وعليهم، ويؤوده، والقدس، ويحسب ، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثانى: فنحو مالك وملك فى الفاتحة، لأن المراد فى القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه . وكذا يكذبون ويكذبون ، لأن المراد بهم هم المنافقون ، لأنهم يكذبون بالنبى صلى الله عليه وسلم ويكذبون فى أخبارهم . وكذا ننشرها بالراء والزاى ، لأن المراد بهما هى العظام ، وذلك أن الله تعالى أنشرها أى أحياها ، وأنشزها أى رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فضمن الله المعنيين فى القراءتين .

وأما الثالث : فنحو « وظنوا أنهم قد كذبوا » بالتشديد والتخفيف . وكذا « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر اللام الأولى وفتح الثانية . وكذا « الذين هاجروا من بعد ما فتنوا » بالتسمية والتجهيل . وكذا « قال لقد علمت » بضم التاء وفتحها . وكذا ما قرىء شاذاً ، وهو « يطعم ولا يطعم » عكس القراءة المشهورة . وكذا « يطعم ولا يطعم » على التسمية فيهما ، فان ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى ، وامتنع اجتماعه فى شىء واحد ، فانه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض .

فأما وجه تشديد كذبوا ، فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، ووجه التخفيف أى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به ، فالظن فى الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل ، والظن فى القراءة الثانية شك ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم .

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من «لتزول» فهو أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، أى وإن مكرهم كامن الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها . وفى القراءة الثانية إن نافية ، أى ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام ، ففى الأولى تكون الجبال حقيقة ، وفى الثانية مجازاً .

وأما وجه «من بعد مافتنوا» على التجهيل؛ فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا وفى التسمية يعود إلى الخاسرين .

و أما وجه ضم تاء علمت ، فانه أسند العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون حيث قال : « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » فقال موسى عن نفسه : «لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر» . فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك ، أى إن العالم بذلك ليس بمجنون ، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع لشدة معاندته للحق بعد علمه .

وكذلك وجه قراءة الجماعة يطعم[1] بالتسمية ولا يطعم[2] على التجهيل: أن الضمير فى «وهو» يعود إلى الله تعالى، أى والله تعالى يرزق الخلق ولايرزقه أحد. والضمير فى عكس هذه القراءة يعود إلى الولى، أى والولى المتخذ يرزق ولا يرزق أحداً . والضمير فى القراءة الثالثة يعود إلى الله تعالى ، أى والله يطعم من يشاء ولا يطعم

(١) بكسر العين . (٢) بفتح العين .

من يشاء . فليس فى شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الايمان به وأنه كله منزل من عند الله ، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الايمان بها كلها واتباع ماتضمنته من المعنى علماً وعملاً ، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك معارض . وإلى ذلك أشار ابن مسعود رضى الله عنه بقوله : «لا تختلفوا فى القرآن ولا تنازعوا فيه فانه لايختلف ولايتساقط ؛ ألا ترون أن شريعة الاسلام فيه واحدة ، حدودها وقراءتها ، وأمر الله فيها واحد ؟ ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله ، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها ، فانه من كفر بحرف منه كفر به كله » ، قال ابن الجزرى : وإلى ذلك أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال لأحد المختلفين: أحسنت . وفى الحديث الآخر : أصبت ، وفى الآخر : هكذا أنزلت ، فصوب النبى صلى الله عليه وسلم قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله ، وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فان اختلاف القراء كله حق وصواب ، نزل من عند الله وهو كلامه ولا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى ، والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلا إليه لا غير ذلك ؛ وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة الاقراء ورواتهم : المراد بها أن ذلك القارىء أو ذلك الراوى اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به

وقصد فيه وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الاضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد . اه

وبهذا يندفع ماعساه أن يقال : بين الحديث والآية تناف، فان قوله عليه الصلاة والسلام لـكل من المختلفين : هكذا أنزلت ، أثبت الخلاف، وقوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » نفاه .

التتمة

فى بيان فوائد اختلاف القراءات

وفى اختلاف القراءات وتنوعها ، مع السلامة من التضاد والتناقض ، فوائد غير ما تقدم من التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة .

منها : بيان حكم مجمع عليه : كقراءة سعد بن أبى وقاص وغيره : وله أخ أو أخت من أم ، فان هذه القراءة تبين أن المراد بالاخوة هنا هم الاخوة للأم ، وهـذا أمر مجمع عليه ، ولذلك اختلف العلماء فى المسألة المشتركة وهى : زوج وأم أو جدة واثنان من إخوة لأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم ، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الاخوة لأنهم من أم واحدة، وهذا مذهب مالك والشافعى وإسحاق وغيرهم . وقال جماعة من الصحابة وغيرهم : يجعل الثلث لاخوة الأم ولا شيء لاخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة ، وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهرى وغيرهم .

ومنها: ترجيح حكم اختلف فيه: كقراءة «أو تحرير رقبة مؤمنة» فى كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الايمان كما ذهب إليه الشافعى وغيره، ولم يشترطه أبوحنيفة.

ومنها: الجمع بين حكمين مختلفين: كقراءة: يطهرن ويطهرن بالتخفيف والتشديد

فينبغى الجمع بينهما ، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال .

ومنها : اختلاف حكمين شرعيين : كقراءة وأرجلكم بالخفض والنصب ، فان الخفض يقتضى فرض المسح، والنصب يقتضى فرض الغسل، فبينهما النبى صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره ، ومن ثم وهم الزمخشرى حيث حمل اختلاف القراءتين فى « إلا امرأتك » رفعاً ونصباً على اختلاف قولى المفسرين والنحاة .

ومنها : إيضاح حكم يقتضى الظاهر خلافه : كقراءة فامضوا إلى ذكر الله ، فان قراءة فاسعوا يقتضى ظاهرها المشى السريع ، وليس كذلك ، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه .

ومنها : تفسير ما لعله لا يعرف : مثل قراءة : كالصوف المنفوش .

ومنها : ماهو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ : كقراءة «وملكا كبيراً» بكسر اللام ، وردت عن ابن كثير وغيره وهى من أعظم دليل على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة .

ومنها : ماهو حجة لترجيح قول بعض العلماء : كقراءة أو لمستم النساء ، إذ اللمس يطلق على الجس والمس ، كقوله تعالى « فلمسوه بأيديهم » أى مسوه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : لعلك قبلت أو لمست . ومنه قول الشاعر :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى

ومنها : ما هو حجة لقول بعض أهل العربية : كقراءة والأرحام بالخفض . وليجزى قوما ، على مالم يسم فاعله مع النصب .

ومنها: ما فى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الاعجاز وغاية الاختصار وجمال الايجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان فى ذلك من التطويل .

ومنها: مافيه من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد . وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم .

ومنها: سهولة حفظه وتيسر نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فان من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام تؤدى معانى تلك القراءات المختلفات ، لاسيما فيما كان خطه واحداً فان ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً .

ومنها : إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم فى تتبع معانى ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ ، واستخراج كمين أسراره وخفى إشاراته ، وإنعامهم النظر ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم . « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى » والأجر على قدر المشقة .

ومنها : بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى وإقبالهم عليه هذا الاقبال والبحث عن لفظة لفظة ، والكشف عن صفة صفة، وبيان صوابه وتحرير تصحيحه وإتقانه ، حتى حموه من خلل التحريف ، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكيناً، ولا تفخيما ولا ترقيقاً،

حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات، وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولم يصل إليه إلا بإلهام بارىء النسم.

ومنها: ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السند الالهى بسندها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية، وإعظاما لقدر أهل هذه الملة الحنيفية. فكل قارىء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله. فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت .

ومنها: ظهور سر الله تعالى فى توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز. فان الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار ولو فى قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون سببا لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم فى المصاحف والصدور .

وقد خص الله تعالى هذه الأمة فى كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم بما لم يكن لأمة من الأمم فى كتبها المنزلة، فانه سبحانه وتعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب ولم يكل حفظه إلينا . قال تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وذلك إعظام لأعظم معجزات النبى صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لسانا وأعظمهم عناداً وعتواً وإنكاراً فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله . ثم لم يزل يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين، ولم يستطع أحد منهم معارضة شىء منه، وأى دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا .

وأيضاً فان علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه من الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذى لاقرار له ينتهى إليه ولا حد له يوقف عليه. ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبى بعد نبيها صلى الله عليه وسلم كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمنتهم عن أنبياء يحكمون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم فى عاجلهم ومآبهم، قال الله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » فوكل حفظ التوراة إليهم. ولهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل. ولما تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من بريته، وأورثه من اصطفاه من خليقته، قال تعالى: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس» قيل من هم يارسول الله ؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه ابن ماجه وأحمد والدارمى وغيرهم من حديث أنس باسناد رجاله ثقات اهـ . من النشر، والجامع، والكواكب الدرية، ملخصاً .

على محمد الضباع

شيخ عموم المقارىء المصرية

كتاب الله

من كلمات سيدنا أبى بكر رضى الله عنه :

هذا كتاب الله فيكم، لا يطفأ نوره، ولا تنقضى عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحوا به، واستبصروا فيه ليوم الظلمة .

أسماء القرآن

المراجع : الاتقان للسيوطى ، دائرة المعارف البريطانية ، المفردات للراغب الأصفهانى ، تفسير الطبرى : المقدمة .

طريقة العرض : منزلة القرآن من الأدب الاسلامى ، رأى صاحب كتاب البرهان فى أسماء القرآن ، رأى الطبرى فى هذا الموضوع ، آراء العلماء فى أصل لفظة القرآن ثم الفرقان ثم الكتاب ثم الذكر ، تفضيل رأى الطبرى ، لفظة المصحف ومنشؤها ، القرآن اسم جديد على العرب .

القرآن الكريم دستور الاسلام ، وسفر أدبى جليل أعجز العرب فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة مثله على علو كعبهم فى فنون القول، وألان قلوبهم ، وأقنع عقولهم ، وهذب نفوسهم، وطواهم إلى الاسلام ، وجمعهم على دين واحد فى أمة واحدة . هذا الكتاب الذى لاريب فيه يجمع بين أعلى المكانتين الدينية والأدبية ، وهو دعامة الفترة التى نطلق عليها العصر الاسلامى، والعامل القوى فى إنشاء أدب ذلك العصر. ونحن فى دراستنا للأدب الاسلامى لا بد من أن ندرس القرآن الكريم ، وأول ما يلقانا فى هذه الدراسة هو اسم القرآن .

وإذا أردنا أن نعرف ما هذا الاسم وكيف أتى وأنى خلق ؟ وهل له اسم واحد ، أم له أسماء أخرى ؟ وما هى هذه الأسماء ؟ وما أصلها ؟ ـ نجد أن السيوطى نقل فى كتابه الاتقان عن أبى المعالى عزيزى بن عبد الملك صاحب كتاب البرهان: أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً ، فسماه : كتاباً ، ومبيناً

وقرآنا، وكريماً، وكلاماً، وهدى، ورحمة، وفرقاناً، وشفاء، وذكراً، وحكما ... ولن أعرضها جميعاً، ولكنى سأتخير بعض الأسماء الغريبة حتى أظهر لكم أن هذا العالم أتى بصفات القرآن وخواصه وقدمها على أنها أسماء له، وقد ذهب فى هذا مذهب رجال اللغة الذين يقولون إن اللغة العربية بحر واسع غنى بالكلمات، فمثلا هو يسميه حبلا، ويستدل على ذلك بقول الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». وقد سماه بذلك لأن من تمسك به وصل إلى الجنة. وقال إن من أسمائه أيضاً أحسن الحديث ومثانى ومتشابهاً، وذلك فى قوله تعالى: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى» .. وفسر المثانى بأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثان لما تقدم، وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه، وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ، والمتشابه لأنه يشبه بعضه بعضاً فى الحسن والصدق. وسماه الروح وقال: لأنه تحيا به القلوب والأنفس، واستدل بقول الله تعالى: «أوحينا إليك روحا من أمرنا». وسماه وحياً من قوله تعالى: «إنما أنذركم بالوحى». وسماه بشرى وبلاغا لأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه. فمن هذا نرى أن صاحب البرهان أسرف كل الاسراف حين عدد هذه الصفات على أنها أسماء، فنحن إذا قلنا «القرآن الكريم» فليس لنا أن نقول إن الكريم اسم جديد للقرآن بل هو صفة لا أكثر ولا أقل، والمعقول أن يطلق على الشيء اسم واحد أو اثنان أو ثلاثة إذا أخذنا الأسماء التى وضعتها القبائل المختلفة له.

فاذا نحن تركنا رأى صاحب البرهان، رأينا كاتباً آخر كالطبرى قد اقتصر على أربعة أسماء للقرآن، فهو يقول: إن الله سمى كتابه القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر.

وعلينا الآن أن نبحث فى كل اسم من هذه الأسماء من أين أتت؟ وما حكمة إطلاقها دون غيرها على هذا الكتاب المقدس؟

يقول السيوطى وتشترك معه دائرة المعارف البريطانية : إن العلماء المسلمين مختلفون فى لفظ وفى أصل وفى معنى كلمة القرآن ، فبعضهم يلفظ القرآن بدون همزة ويرى أنه اسم علم أطلق على كتاب الله الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام . مثله مثل التوراة والانجيل وبه قرأ ابن كثير وهو مروى عن الشافعى ، وبعضهم يقول ومنهم الأشعرى: إنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسمى كتاب الله قرآناً لضم السور والآيات والحروف فيه، ولو أنى أرى أن هذا تعليل ضعيف ، فكل كتاب تضم أبوابه وفصوله وحروفه بعضها إلى بعض ولكن لا يسمى كل كتاب قرآناً ، ويقول بعضهم القرآن مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ، فهذه الصفة ليست من الصفات التى يمتاز بها القرآن بل هى صفة طبيعية فيه ، لأنه لو لم يكن كذلك لكان مضطرباً متناقضاً ، ولا يوجد هذا فى الكتب العادية غالباً ، فكيف بكتاب الله الذى بهر العرب بأسلوبه وطريقته .

فلنبحث إذن عن أصل آخر له نصيب أكبر من المنطق السليم .

قال آخرون: إنه مهموز،وقال قوم منهم اللحيانى وابن عباس: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران ، سمى به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر . ويقول الطبرى : إن يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى ، قال حدثنا عبد الله ابن صالح، قال حدثنى معاوية بن صالح عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» يقول: إذا بيناه اعمل به . ومعنى قول ابن عباس : فاذا بيناه بالقراءة اعمل بما بيناه لك بالقراءة. ومما يوضح صحة ما قلنا فى تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن عبد الله بن عباس « إن علينا جمعه وقرآنه » .قال : أن نقرئك فلا تنسى ، فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه . يقول : إذا تلى عليك فاتبع

مافيه . قال أبو جعفر : فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس أن معنى القرآن عنده القراءة فانه مصدر من قول القائل قرأت على ما قد قلناه ، وقد أتى الطبرى بكل هذا الحديث ليبرهن على أن ابن عباس يرى أن القرآن مصدر من قرأت ، وأرى أن هذا الرأى فيه كثير من الوجاهة .

وهذا رأى آخر يقوله الأصفهانى فى كتابه المفردات: إن أهل اللغة يقولون: إن القرء بمعنى الجمع والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم ، ولا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة . ويقول الأصفهانى : إن بعض العلماء يسميه قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار إليه تعالى بقوله : « تبياناً لكل شىء » « قرآناً عربياً غير ذى عوج » .

وذهب هذا المذهب أيضاً الزجاج وقتادة ، فالسيوطى فى الاتقان يقول : إن الزجاج يقول القرآن وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء فى الحوض أى جمعته . وجاء فى الطبرى أن قتادة فسر الآية : « إنا علينا جمعه وقرآنه » يقول : حفظه وتأليفه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » يقول : اتبع حلاله واجتنب حرامه. فرأى قتادة إذن أن تأويل القرآن التأليف. قال أبو جعفر: ولكلا القولين ـ يعنى قول ابن عباس من أن القرآن مصدر من قرأ بمعنى تلا، وقول قتادة من أن القرآن من القرء بمعنى الجمع والتأليف ـ وجه صحيح من كلام العرب، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » قول ابن عباس، لأن الله تعالى أمر نبيه فى غير آية من تنزيله اتباع ما أوحى إليه، ولم يرخص له ترك شىء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له . ويقول أبو جعفر : إذا كان ذلك كما يقول قتادة لكان النبى صلى الله عليه وسلم غير مكلف بالعمل بقول الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ولا قوله تعالى : « يأيها

المدثر قم فأنذر » لأن الله تعالى لم يكن ألف إلى ذلك غيره من القرآن . ومن هنا فضل أبو جعفر رأى ابن عباس على رأى قتادة ، وهو على حق فى هذا . ورأى آخر يرويه السيوطى فى الاتقان عن قطرب : أنه إنما سمى قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب: ماقرأت الناقة سلا قط،أى مارمت بولد،أى ما أسقطت ولداً، أى ما حملت قط . والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسمى قرآناً . والسيوطى يرى أن رأى الشافعى هو أحسن الآراء ، وهو أن القرآن اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله .

هذه هى جميع الأقوال التى وردت فى لفظ القرآن . وأفضلها عندى رأى ابن عباس ، وقد يجوز أن يطلق على القرآن توراة وإنجيل ، جاء فى الاتقان: أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب قال فىالتوراة « يامحمد إنى منزل عليك توراة حديثة تفتح أعينا عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا» وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال «لما أخذ موسى الألواح قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى قلوبهم فاجعلهم أمتى؛ قال تلك أمة أحمد». ففى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا ، ومع هذا لايجوز الآن أن يطلق عليه ذلك.ثم لفظة الفرقان وهى ثانى اسم أتى به الطبرى فى كتاب الله يقول الأصفهانى فى تفسير الفرقان : إنه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، ويقول إنه اسم لامصدر ، وقول الله تعالى : «يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » أى نوراً وتوفيقاً على قلوبكم يفرق به بين الحق والباطل . وأما الطبرى فيقول : إن تفسير أهل التفسير جاء فى ذلك بألفاظ مختلفة هى فى المعانى مؤتلفة، فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد: إنه كان يقول هو النجاة. وكذلك كان السدى يتأوله . وكان ابن عباس يقول: الفرقان هو المخرج،حدثنى بذلك يحيى ابن عثمان بن صالح قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن

أبى طلحة عن ابن عباس ، وكذلك كان مجاهد يقول فى تأويله: إن يوم الفرقان هو يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

ويقول الطبرى: إن كل هذه المعانى على اختلاف ألفاظها متقاربات فى المعانى، وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة، وكذلك إذا نجى منه فقد نصر على من بغاه فيه سوءاً ، وفرق بينه وبين باغيه بالسوء. ويقول الطبرى: أصل الفرقان عندنا هو الفرق بين الشيئين والفصل بينهما. وقد تبين بذلك أن القرآن سمي فرقاناً لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معانى حكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره المحق وتخذيله المبطل حكما وقضاء . وأما قوله تعالى : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » قيل أريد به يوم بدر ، فانه أول يوم فرق فيه بين الحق والباطل؛ وقد أطلق الله كلمة الفرقان على التوراة والانجيل من قبل ، فقد قال الله تعالى : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان» وقال تعالى أيضاً : « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » وقال جل شأنه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أما الكتاب وهو الاسم الثالث للقرآن،ويرد هذا الاسم كثيراً فى أول السور المبدوءة بالحروف مثل : « آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » و« طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين » ولم يكن يقصد به سفراً كما هو الآن ، لأن القرآن عند ما أطلق عليه هذا اللفظ لم يكن قد كتب ودون بعد ، وإذن كان معنى الكتاب هو هذه الآيات فقط التى تقرأ وتتلى . وفى مفردات الراغب الأصفهانى يقول فى مادة كتب: هى ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ ، وإذا صح هذا التفسير اللغوى كان إطلاق كلمة كتاب على القرآن عند نزوله إطلاقا صحيحاً ، إما لأنه يمكن أن يتلى وتضم عباراته وألفاظه بعضها إلى بعض،وإما لأنه فى طريقه لأن يدون فى صفحات وتجمع بعضها إلى بعض .

والذكر وهو آخر اسم أتى به الطبرى، وقد جاء فى قوله تعالى: « وإنه لذكر لك ولقومك » ويحتمل هذا الاسم معنيين، أحـــدهما : أنه ذكر من التذكرة ، يذكر الله به عباده، ويعرفهم فيه حدوده وفرائضه، ويذكرهم فيه باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب . والثانى أنه ذكر وشرف وفخر ورفعة لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال جل ثناؤه « وإنه لذكرلك ولقومك » يعنى أنه شرف له ولقومه .

ونحن الآن أمام رأيين: رأى صاحب البرهان الذى عدد خمسة وخمسين اسماً للقرآن، ورأى الطبرى الذى قال: إن أسماء القرآن أربعة ـ أيهما أقرب إلى العقل؟ لا شك أن رأى الطبرى هو المعقول وهو الذى يؤخذ به ، ولو أن هناك بعض العلماء يعتقد أن للقرآن اسماً واحداً فقط هو القرآن كما هو الشأن مع التوراة والانجيل .

ولابد لنا قبل أن ننتهى من هذا البحث أن نعرض للفظ المصحف ، فهو اسم من أسماء القرآن أيضاً . حكى المظفرى فى تاريخه قال : لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه. فقال بعضهم : سموه إنجيلا ، فكرهوه، وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه، وقال بعضهم نسميه التوراة أو الانجيل، قال: هذه أسماء لكتب أخرى. فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به ، لأن أبا بكر كان يميل إلى الحبشة .

بقى أن نقول : إن القرآن الكريم كان جديداً فى اسمه على العرب . وقال الجاحظ فى تفسير ذلك: سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل ، فسمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً ، وسمى بعضه سورة كما سموا قصيدة، وسمى بعضها آية كما سموا بيتاً ، وآخرها فاصلة كقافية .

وأخيراً هذا عرض سريع لما استطعت جمعه فى موضوع هذا البحث أستفيد منه وعساى أفيد .

عبد الوهاب خلاف

من فضائل القرآن

رعاية الأمانة

قال الله عز وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

السبب في نزول هذه الآية الكريمة ، هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد يوم فتح مكة أن يدخل الكعبة المشرفة ، وكان مفتاح بابها عند سادنها ، عثمان بن طلحة ـ والسادن : الخادم ـ فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد دخول الكعبة فقال : « لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه » فلوى على بن أبى طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله البيت فصلى ركعتين ، فلما خرج سأله عمه العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع بين السدانة والسقاية ـ والسقاية : سقى الحجيج ـ وهم رسول الله أن يعطى العباس المفتاح فأنزل الله الآية « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» فأمر رسول اللهصلىاللهعليهوسلم علياً رضى الله عنه أن يرد المفتاح لعثمان، وأن يعتذر له ففعل، فقال عثمان : « يا على أكرهت وآذيت ثم جئت رفيقاً شفيقاً » . فقال على : لقد أنزل الله فى شأنك هذه الآية وتلاها عليه، فقال عثمان « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

ثم نزل جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المفتاح والسدانة فى آل عثمان ما دام هذا البيت » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« خذوها يابنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم » ثم إن عثمان هاجر إلى المدينة وسلم المفتاح لأخيه شيبة بن طلحة ، وهو مع ذريته حتى اليوم .

وهذه القصة تدل على أن الاسلام بلغ الغاية فى المحافظة على الأمانة ، فقد حرص على أدائها حتى للمخالفين فى الدين ، وهى عدالة التزمها الاسلام ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » يعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا .

وقد اهتم الرسول الكريم بفضيلة الأمانة قولا وفعلا . والأحاديث النبوية كثيرة فى الحث على الأمانة والتحذير من الخيانة ، وقد جعل الأمانة علامة الايمان ، والخيانة علامة النفاق ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، وقال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإن صام وصلى واعتمر وحج وزعم أنه مسلم » .

وجاء رجل من أهل العالية إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى بأشد شيء فى هـذا الدين وألينه ؟ فقال « ألينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأشده ياأخا العالية الأمانة ، لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة له ولا زكاة له » .

وللأمانة فى نظر علماء الاجتماع الاخلاقيين مكان ملحوظ ومقام مرموق ، فهى من أهم الأسس التى يتركز عليها الأمن والنظام والهدوء والسلام ، والمحبة والوئام والثقة والاحترام ، وهى عامل من عوامل استئصال الشرور والجرائم والفساد والمآثم .

فالمطل خيانة لأمانة الوفاء بالديون ، والكذب خيانة لأمانة القول ، والقتل خيانة لأمانة الدماء، والسرقة والغش والتدليس والنصب خيانة لأمانة الأموال ، والاعتداء على الحرمات بالغيبة ونحوها خيانة لأمانة الأعراض . ويخطىء من يقول إن الأمانة مقصورة على أمانة المال والودائع ، والواقع أنها أوسع دائرة ، وأبعد أثراً من هذا المعنى المحدود ، فهى تتناول أمانة الأموال والأقوال والدماء والأعراض وأمانة التكاليف الشرعية جميعها . قال ابن مسعود . « الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة » وعدد أشياء أخرى تدخل فى نطاق العبادات والمعاملات . وسئل البراء بن عازب عما قاله ابن مسعود فقال : صدق . أماسمعتم قول الله تعالى: « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ؟ »

وليس غريباً أن يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمانة فى خطبة الوداع إذ يقول فيها : « فمن كانت عنده أمانة فليؤدها للذى ائتمنه عليها » .

فالأمانة ملاك الأخلاق الكريمة ، وقوام الشمائل النبيلة ، وصفة من صفات الأنبياء والمرسلين ، وقد كان لقب « الأمين » قبل الاسلام كالعلم للنبى صلى الله عليه وسلم إذا أطلق لا ينصرف إلا إليه وحده من بين أهل مكة . لما عرفوه فيه من آداء تام للأمانات ، ورعاية فى كل الحالات .

أيها القراء الأعزاء : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد

جمع القرآن

— ٤ —

جمع القرآن بمعنى كتابته

تقدم أن جمع القرآن بمعنى كتابته ثلاثه أنواع ؛ وإليك تفصيل كل منها :

١ — جمع القرآن بمعنى كتابته فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم :

عناية النبى صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن وترغيب الصحابة رضوان الله عليهم فى حفظه ـ أوفت على الغاية وبلغت المنتهى ؛ ضرورة أنه نبى أمى ، بعث فى قوم أميين ، جل اعتمادهم على الحفظ، حتى لتشهد ذلك جليا فى أشعارهم وخطبهم التى هى محل مفاخرهم، ولأن أدوات الكتابة عندهم ليست ميسورة لكونهم فى عصر البداوة ، ومن ثم انصرفوا إلى حفظ التنزيل وتسابقوا فى ذلك .

ومع صعوبة الكتابة وأدواتها لم تنصرف همة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحفظ فحسب، بل اهتم بشأن الكتابة وشجع على تعليمها ، وبهذا التشجيع جد الصحابة رضى الله عنهم فى تعلم القراءة والكتابة حتى مهر منهم الكثير بمكة والمدينة على قرب عهدهم بالبداوة وقلة وسائل الكتابة. ولما توجهت همة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كتابة القرآن الكريم ليعاضد المحفوظ المنقوش ويقوى المقروء المكتوب، اتخذ كتابا لكتابة القرآن الكريم ممن برعوا فى فن الكتابة ووضع فيهم ثقته لأنهم مع حذقهم الكتابة جمعوا فضائل الكاتب من الأمانة والضبط وإرهاف السمع ووعى القلب؛ وناهيك باختيار النبى صلى الله عليه وسلم إياهم كتابا للقرآن الكريم ونيلهم هذا الشرف العظيم .

هؤلاء الكتاب كتبوا آيات التنزيل كما أملاها عليهم الرسول صلوات الله

وسلامه عليه، فقد كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فيقول لهم: ضعوا هؤلاء الآيات في موضع كذا من سورة كذا. وكانت كتابة مانزل من القرآن ملتزمة منهم حتى زمن الاختفاء فى أول الاسلام، إذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف فى البيوت، وكان المشركون يدعون الدراسة إذ ذاك: الهينمة. ومن شواهد ذلك حديث عمر قبل إسلامه مع أخته وختنه، وسيأتى.

وكانت العرب تكتب كل شيء نفيس أو مهم عندهم كالأشعار الفصيحة والخطب البليغة، ومن شواهد ذلك القصائد المعلقة، والصحيفة التى أكلتها الأرضة، ولزيادة التوثق كان الكتاب يعرضون المكتوب على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الكتابة المرة بعد المرة، لأنه الكتاب الخالد الذى ترجع إليه أجيال الناس فى دينهم وأقضيتهم، ولم يقتصر أمر كتابة القرآن على الكتاب الذين كان يملى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم، بل كان بعض الصحابة يكتب ما حفظه أو بلغه فى صحف أو مصحف بحسب ماتيسر له. وبالجملة لم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن محفوظ فى الصدور من كثير من الصحابة، مكتوب فى السطور، مرتب الآيات فى السور حسب إرشاد جبريل للنبى الأمين عليهما أفضل الصلاة والسلام.

وقد حرص الصحابة على القطع المكتوبة، وكانت أغلى عليهم من أنفسهم، وأنفس عندهم من كل نفيس، وأحب إليهم من كل حبيب جليس، والصحابة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوه لم يكونوا قد جمعوه بين الدفتين، ولم يلتزموا توالى سوره؛ وذلك لأن الواحد منهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها، ثم خرج فى سرية أو غزوة أو غاب فى شأن من الشئون ونزل وقت غيبته شيء من القرآن ثم رجع أخذ بعد رجوعه فى حفظ ما نزل وقت مغيبه وكتابته، وتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه. وكان منهم من يعتمد على حفظه فلا

يكتب ، على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة منهم، وبعضهم كان يكتبه في أدوات مختلفة من قرطاس وكتف وعسب، ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه ، وبعضهم كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة ، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد .

وصفوة القول : أن القرآن كتب كله في حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحفظه أصحابه رضي الله عنهم سوراً وآيات وكلمات وحروفاً مع الضبط والاتقان، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وهو محفوظ في الصدور مكتوب في السطور ، وتركهم أمة واحدة ، على دين واحد ، وكتاب واحد .

الروايات في كتابة القرآن
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد في كتابة القرآن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام روايات كثيرة ؛ أكتفي منها بما يأتي :

١ — روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «أرسل إلى أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة قال : إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع القرآن فتتبعت » الحديث ، وسيأتي بطوله في جمع أبي بكر رضي الله عنه .

٢ — وروى البخاري عن البراء قال « لما نزلت « لا يستوي القاعدون من المؤمنين » قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادع فلاناً، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال : اكتب « لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم، فقال: يارسول الله أنا ضرير،

فنزلت مكانها « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله » وروى البخارى من طرق أخرى عن البراء ما يبين أن الكاتب الذى أبهم هنا هو زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٣ — وروى أحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شىء دعا بعض من يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » الحديث .

٤ — أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع» الحديث . قال البيهقى: يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها فيها باشارة من النبى صلى الله عليه وسلم اه . وفى مسند أحمد: حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثنا يزيد بن أبى حبيب ، أن عبد الرحمن بن شماسة أخبره أن زيد بن ثابت قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبى للشام. قيل: ولم ذلك يارسول الله؟قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه .

٥ — وروى البيهقى بسند حسن عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم فكان يكتب له إلى الملوك ، فبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب ويختم ولا يقرؤه ، ثم استكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحى ويكتب إلى الملوك، وكان إذا غابا كتب جعفر بن أبى طالب.

وفى الاصابة: أخرج البغوى من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله

ابن الأرقم بن عبد يغوث ، وكان يجيب عنه الملوك، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرؤه لأمانته عنده. واستكتب أيضاً زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي ، وكان إذا غاب بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أحد، أمر من حضر أن يكتب ، فمن هؤلاء : عمر ، وعلى وخالد بن سعيد ، والمغيرة ، ومعاوية اهـ .

٦ — وروى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » ورواه ابن أبى داود فى كتاب المصاحف بلفظه « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئاً سوى القرآن فليمحه » اهـ . وهذا الحديث يدل بمفهومه على أن القرآن كان يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما نهى عن كتابة غيره أول الأمر خوف اختلاطه بالقرآن ثم أذن فى كتابة غير القرآن بعد ذلك كما ثبت فى أحاديث صحيحة كثيرة .

٧— وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية « ألق الدواة ، وحرف القلم، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فأنه أذكر لك » .

٨ — وروى ابن الأثير فى أسد الغابة عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا نعم . فذكر لنا قصة دخوله على أخته فاطمة بنت الخطاب ، وقد بلغه إسلامها مع زوجها سعيد بن زيد ، وضربه إياها ، ثم قال : ودخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير ، ونظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت وقلت هذا الكتاب أعطينيه . فقالت لا أعطيك لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون . قال: فلم أزل بها حتى أعطتنيه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى ، ثم رجعت إلى نفسى فاذا فيها « سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع إلي نفسى حتى بلغت « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » حتى بلغت إلى قوله تعالى « إن كنتم مؤمنين » . قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الحديث . وفيه دلالة على أنهم كانوا يكتبون القرآن .

٩ — وروى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو .

وهذا الحديث يدل على أن القرآن كان مكتوبا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلا فكيف ينهى عن أمر لا وجود له .

١٠ — وقال البغوى فى شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها لرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات اه .

ولعله لذلك اعتمد عليه أبو بكر ، وعمر ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

كل هذه الروايات تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم اهتم بكتابة القرآن واتخذ له كتاباً لهذا الغرض ، وأن القرآن كتب كله فى عهده وحضرته ، بمكة والمدينة ، بكل إتقان وضبط ؟

فريد العبادى

المدرس بالأزهر

عصمة الانبياء

– ٢ –

الآيات الواردة فى سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هـذا ربى هـذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون » .

ربما يفهم من لم يعرف صفات الأنبياء ومنزلتهم من الله سبحانه وتعالى وما طبعت عليه نفوسهم من ظاهر هـذه الآيات أن إبراهيم عليه السلام اعتقد ألوهية الكوكب ، ولما رآه قد غاب بعد أن كان ظاهراً أومضيئاً رجع عن اعتقاد ألوهيته ، فلما ظهر القمر ورأى حجمه أكبر من حجم الكوكب وضوءه أكمل اعتقد ألوهيته، فلما غاب رجع عن اعتقاده، فلما طلعت الشمس ورآها أكبر من الكواكب التى رآها وأقوى منها ضوءاً اعتقد ألوهيتها ، فلما أفلت وغابت تبرأ من الشرك واعتقد أن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى .

ولما كان فهم الآية على هذا الوجه يصادم ما أجمع عليه أهل الشرائع والملل من استحالة الشرك على الأنبياء قبل البعثة وبعدها عمداً أو سهواً ، أوجب صرف الآية عن ذلك الظاهر ، والعدول إلى طريق آخر يسلمه العقل

لذلك نقول : إن من طرق إلزام المخالف لك وإبطال قوله أن تتظاهر له أنك

تسلم ما يقوله (وأنت فى الواقع لا تعتقد ولا تسلم له ما يدعيه) ثم تبين له ما يترتب على قوله من المفاسد أو ما يمنع من تسليمه ، وربما كان ذلك الطريق من أقرب الطرق إلى إقناع خصمك وإلزامه الحجة .

هذا الطريق هو الذى سلكه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه رجاء إيمانهم فكأنه قال لهم : سلمت لكم جدلا أن الكوكب أو القمر أو الشمس إله ولكن قضى العقل بأن الاله ليس من جنس الحوادث فلا يتغير ولا يتصف بالاعراض فلا يوصف بالانتقال من مكان إلى مكان ولا بالظهور ثم الخفاء وبالعكس ، وهذه الكواكب قد اتصفت بذلك فلا تصلح أن تكون آلهة

وبفهم الآية على هذا الوجه لا تكون دالة على صدور الشرك من إبراهيم ، بل تدل على أنه ينهى قومه عنه ، ويطالبهم بالتوحيد وقصر المعبودية على الله سبحانه وتعالى وحده

وقال الله تعالى فى سورة الأنبياء: « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون » .

حكاية لما وقع من إبراهيم عليه السلام ، وحاصله أنه أقسم بالله ليجتهدن فى كسر هذه الأصنام بعد الانتهاء من عبادتهم لها وخروجهم إلى عيدهم ، فلما خرجوا إلى عيدهم توجه إبراهيم إلى الأصنام ومعه فأس ، فأخذ فى تكسير جميع الأصنام فجعلها قطعاً ما عدا الصنم الكبير فانه تركه ولم يتعرض له ، ليتبين لهم عند المحاجة التى وقعت بينهم وبينه لمعرفة كاسر الأصنام أن الأصنام لا تضر ولا تنفع ، ولو كانت تضر أو تنفع لأمكن لذلك الصنم الكبير أن يدفع الضرر عن غيره.

فهذا المستفاد صريح فى أن الله أخبر بأن الذى كسر الأصنام هو إبراهيم عليه السلام .

ثم قال تعالى حكاية لما دار بين قوم إبراهيم وبينه « قالوا أأنت فعلت هذا

بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » .

ظاهر هذه الآية أن قوم إبراهيم لما استفهموا منه عن الفاعل لكسر الأصنام أجابهم بأن الذى كسر الأصنام هو الصنم الكبير ، وبناء على ذلك الظاهر يكون إخبار إبراهيم بأن الفاعل هو الصنم الكبير غير مطابق للواقع ، لأن الله تعالى قد أخبر بأن الذى جعل الأصنام قطعاً هو إبراهيم عليه السلام فيكون كاذبا فى ذلك الاخبار ، والعقل أحال الكذب على الأنبياء . ويجاب عن ذلك بأن إخبار إبراهيم ليس بكذب لأنه لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد إثباته لنفسه مع التعريض بأن الصنم لا يضر ولا ينفع ، وهذا له نظير فى المخاطبات العادية . مثلا إذا كتب شخص كتابا بخط جميل وكان مشهوراً بأنه يجيد الكتابة فقال له رجل أمى أو كاتب إلا أن خطه ليس يحسن : أنت كتبت هذا ؟ فأجابه بقوله: بل كتبته أنت ، فان غرض المجيب إثبات أنه كتبه مع الاستهزاء بالسائل ، وهذا نشأ من أن كتابة الكتاب أمرها دائر بين المجيد للخط والعاجز ، وحيث كان العاجز لا يصلح أن يكون مصدراً لها فتعين أن يكون الكاتب هو المجيد للخط .

كذلك أمر كسر الأصنام دائر بين إبراهيم وذلك الصنم الكبير ولا ثالث ، لأن كل القوم ماعدا إبراهيم يعبدون الأصنام ويعظمونها فلا يصدر منهم تعد عليها ، فيكون غرض إبراهيم من قوله « بل فعله كبيرهم » الاستهزاء بذلك الصنم الكبير ، وإثبات أنه هو الذى كسرها لأنه هو الذى يقدر على ذلك ، ولذلك كان وقت نطقه بهذا الجواب قد علق الفأس فى عنقه لتكون قرينة على ما يريد . ويمكن أن يقال إنه كذب ، وقصده إبراهيم ليتوسل به إلى إقناع القوم بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع . ولا يضر ارتكاب الكذب فى هذه الحالة لأنه ليس متعلقاً بالرسالة ولا بتبليغ الأحكام ، وترتبت عليه مصلحة وهى إلزام هؤلاء القوم بالحجة ، فلا مانع من أن يرخص لابراهيم عليه السلام فى مباشرته .

وقال الله تعالى حكاية لما وقع من إبراهيم عليه السلام : « فنظر نظرة فى النجوم ، فقال إنى سقيم ، فتولوا عنه مدبرين » .

روى أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعظمون الكواكب ، ويعتقدون أنها مصدر الخير والشر ، ويتخذون لكل كوكب منها هيكلا ، ويجعلون فيها أصناما تناسب ذلك الكوكب بزعمهم ، ويجعلون عبادتها وتعظيمها ذريعة إلى عبادة تلك الكواكب ، فجاء يوم عيد لهم وكانوا يخرجون فيه ، فأرسل ملكهم إلى إبراهيم عليه السلام يقول له : إن غداً عيدنا فاحضر معنا .

فرأى أن الفرصة قد حانت لحصول ما عسى أن يكون سبباً لتوحيدهم فأراد أن يعتذر عن الحضور على وجه لا ينكر فيه عليه « فنظر نظرة فى النجوم » أى تأمل نوعا من التأمل كتأمل وتفكر الصديقين والصالحين فى خلق السموات والأرض .

ولكنه أوهمهم أنه يتأمل فى أحوالها التى تدل بزعمهم على حصول الحوادث فقال لهم « إنى سقيم » أى سأصاب بسقم ، وهو صادق فى ذلك ، لأن كل إنسان لابد أن يصاب باعتلال المزاج أو سريان الموت . فلم يرتكب كذبا فى ذلك الاخبار ، ولكن القوم ظنوا أنه مصاب بالطاعون لأنه كان منتشراً بينهم ، فتولوا عنه هاربين مخافة العدوى . وقيل إن إبراهيم عليه السلام كانت تعرض له حمى فى أوقات معينة ، فنظر فى النجوم ليعرف هل ساعة تحرك الحمى عليه قد حانت ؟ فرأى أن الساعة قد حانت فأخبر بأنه سقيم ، وكان قد حل به السقم ، فكان صادقاً فى قوله ، فيكون النظر فى النجوم للاستدلال بها على حلول الوقت ، وهذا لاشىء فيه . وعلى هذا البيان لا يكون فى الآية ما يشير إلى أن إبراهيم حصل منه كذب .

ماورد فى حق موسى عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى

من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم » .

تفيد هذه الآيات على طريق الاجمال أن موسى عليه السلام دخل المدينة وهى (منف) كما نقل عن ابن عباس فى وقت لم يكن دخوله متوقعاً فيه ، فوجد فيها رجلين يتحاربان أحدهما من الطائفة التى شايعته فى الدين وهى بنو إسرائيل ، والآخر من مخالفيه فى الدين وهم القبط ، فطلب من كان من شيعة موسى أن ينصره على عدوه ، فضرب موسى القبطى بكفه المضمومة أصابعها فقتل الرجل ، فقال موسى : هذا من عمل الشيطان وتزيينه إنه عدو يسعى فى إضلال غيره بين العداوة وظاهرها ، ثم قال بعد ذلك : رب إنى ظلمت نفسى بذلك العمل الذى ترتب عليه القتل فاغفر لى ذنبى فغفر الله له . هذا هو ماتفيده الآية إجمالا . فتعبير موسى بأنه ظلم وطلب المغفرة من الله يدل على أنه ارتكب ذنباً ، وهذا بظاهره ينافى ثبوت العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ولكن صريح الآية يفيد أن الذى حصل من موسى هو الوكز وهو الضرب بالكف مجموعة الأصابع وهو من الصغائر ، والقتل ترتب على هذا الوكز ولم يكن مقصوداً بل كان من قبيل الخطأ ، وارتكاب الصغائر التى لاتشعر بالخسة لا يخل بالعصمة ، وكان أيضاً قبل البعثة بدليل قوله : « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين » وإنما ندم موسى بعد أن وقع منه الوكز وقال « إنى ظلمت نفسى » لأنه ظهر له أن دفع الظلم قد يكون بغير الوكز فلم يتعين الوكز طريقاً لدفع ظلم ذلك المعتدى .

وعلى هذا البيان لايكون فى الآية مايؤخذ منه أن موسى ارتكب مايخل بالعصمة

ماورد فى حق يوسف عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى حاكياً لما وقع من يوسف ومن امرأة العزيز « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

قبل بيان معنى الآية يجب معرفة مايجرى فى النفس ، وما يدخل معه تحت التكليف وما لا يدخل .

الذى يجرى فى النفس خمس مراتب : (١) الهاجس وهو مايلقى فى النفس ولا يجول فيها (٢) الخاطر وهو ما يلقى فى النفس ويجول فيها (٣) حديث النفس وهو تردد النفس بين فعل الخاطر وتركه (٤) الهم وهو توجه النفس نحو الفعل والميل إليه (٥) العزم والتصميم على الفعل .

جميع هذه المراتب لا يتناولها التكاليف ولا مؤاخذة فيها ، إلا المرتبة الأخيرة وهى العزم والتصميم . فالهم حينئذ لامؤاخذة فيه ، ولا يعد من الذنوب أصلا إن كان نحو معصية . قال صلى الله عليه وسلم « ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ».

وحينئذ فالآية تفيد أن يوسف توجهت نفسه نحو مخالتها ومالت نحوها بمقتضى الطبيعة البشرية كميل الصائم فى اليوم الحار إلى الماء البارد، ولكن منعه من الجرى وراء مااقتضته الطبيعة البشرية من الانتقال من الهم إلى العزم أنه رأى برهان ربه وحجته الباهرة الدالة على نهاية قبح الفتك بالأعراض وسوء سبيله ، ولذلك يقول الله تعالى : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » . والسوء هو خيانة العزيز أمير مصر ، والفحشاء هى الزنا « إنه من عبادنا المخلصين » الذين أخلصهم الله تعالى واختارهم لطاعته .

وأظن أن بيان الآية على هذا الوجه لا تنبو عنه التراكيب ولا المفردات ولا تعسف فيه ، ويقطع ألسنة الطاعنين ، خصوصاً وأن هذه الحادثة كانت قبل البعثة ، والآية لم تشتمل على اعتراف بذنب ولا تجاوز عنه .

فاحتفظ بهذا البيان ولا تلتفت لما سطره بعض القصاصين فى هذه الحادثة فهو من الاسرائيليات ولم ينقل من طريق يعتمد عليه

وقال الله تبارك وتعالى « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها

يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم، قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون »

ظاهر هذه الآية يفيد أن إخوة يوسف نسبوا إليه السرقة ولم ينفها عن نفسه ، ومعلوم أنها من الكبائر المشعرة بخسة. وهذا النوع أجمع علماء التوحيد على عصمة الأنبياء منه عمداً أو سهواً قبل البعثة وبعدها ، ولكن ذلك الذى نسبه إخوة يوسف إليه يحتمل أن يكونوا كاذبين فيه ، وفى الواقع لم يسرق . ويشير إلى ذلك قوله : « أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » وصدور الكذب جائز منهم عقلا لأن التحقيق أنهم ليسوا أنبياء .

ويحتمل أن يكون قد حدث أمر سموه سرقة ، وفى الواقع ليس بسرقة ؛ فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان أول ما دخل على يوسف عليه السلام من البلاء فيما بلغنى أن عمته كانت تحضنه وكانت أكبر ولد إسحاق عليه السلام وكانت إليها منطقة أبيها وكانوا يتوارثونها بالكبر فكانت لا تحب أحداً كحبها ليوسف ، حتى إذا ترعرع رقت نفس يعقوب إليه ، فقال يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة ، فقالت والله ما أنا بتاركته فدعه عندى أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني ، فلما خرج يعقوب عليه السلام من عندها عمدت إلى تلك المنطقة فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه ثم قالت : فقدت منطقة أبى إسحاق فانظروا من أخذها . فالتمست ، ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام ، فقالت والله إنه لسلم لى أصنع فيه ما شئت ، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل . فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت اه .

فهذا المروى صريح فى أن يوسف لم يسرق ، وسماه إخوته سارقاً باعتبار ما اشتهر بين الناس ، فان صحت هذه الرواية فيها ، وإلا فهم كاذبون فى نسبة السرقة إليه . فالآية حينئذ لم تدل على أن يوسف قد ارتكب ذنب السرقة .

القرآن ومعانى الايمان
الكفر والاسلام والشرك

نزل القرآن الكريم بآيات الايمان ، والكفر ، والاسلام ، والشرك .

أما الايمان فمعناه التصديق بالله ورسوله ، وكتبه واليوم الآخير . قال الله تعالى يخاطب المسلمين : « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » يأمرهم بأن يثبتوا على الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والكتاب الذى نزل عليه ، وهو القرآن ، والكتاب الذى أنزل من قبل . والمراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب كالتوراة والأنجيل ؛ ولذا قرىء وكتابه على إرادة الجنس .

وأما الكفر فهو ضد الايمان ، ومعناه عدم التصديق بكل ماتقدم من أركان الايمان أو ببعضه . قال تعالى : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً » ومعنى ذلك أن من لم يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويكفر بكل هذا الأشياء أو بواحد منها — لأن الكفر ببعضهما كفر بكلها — يقع فى الضلال البعيد والعذاب الشديد . ألا ترى أنه تعالى قدم الأمر بالايمان بها جميعاً فى أول الآية فقال جل شأنه « آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل »

وقد أثنى الله سبحانه على المؤمنين الأولين الذين هاجروا مع رسول الله من مكة والذين آووه ونصروه من أهل المدينة وشهد لايمانهم بأنه حق ، ووعدهم

بالمغفرة والرزق الكريم فى قوله « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

وكما أثنى على المؤمنين ووعدهم بالمغفرة والرزق الكريم، فانه نعى على الكافرين وبخاصة من كانوا مؤمنين منهم ثم كفروا ، ونفى غفرانه ذنوبهم ، كما نفى هدايتهم إلى الطريق القويم فى قوله « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » فهو سبحانه وتعالى يخبر عباده بأن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد فيهم ازدياد الكفر والاصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا مايستحقون به المغفرة، ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه لهم، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم وتلك شنشنتهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة ، وكان الايمان أهون شيء عندهم وأدونه ، لأنه كانت تبدو لهم فيه كرة بعد أخرى ، فيؤمنون ثم يكفرون وهكذا .

وهو سبحانه لايريد بأخباره هذا أنهم لو أخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم — لأن ذلك مقبول من حيث إنه بذل للطاقة واستفراغ للوسع — ولكنه سبحانه يستبعد ذلك منهم ويعده أمراً لايكاد يكون. ولذلك ترى الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ، ثم يتوب ثم يرجع ، لايكاد يرجى منه الثبات ، والغالب أنه يموت على شر حال ، وأسمج صورة .

وأما الاسلام فمعناه التوحيد، وبدونه لا تقوم لأى دين قائمة، قال الله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » وقال « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وضده الشرك وهو أخو الكفر . فقد قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما

يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » وقال « وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بأفواههم،يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

على أن الشرك أسوأ حالا من الكفر ، فان الله سبحانه و تعالى قال«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وفسر العلماء من يشاء بالتائب الذى أقلع عن الذنب وصحت نيته بعدم العودة إليه . وقال « يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس » . جعلهم الله نفس النجاسة مبالغة في وصفهم بها . وقرىء نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف فكأنه قيل المشركون جنس نجس أو ضرب نجس ، وقال حكاية عن لقمان الحكيم : « وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » وحقاً إنه لظلم للنفس عظيم بايقاعها فى العذاب الأليم والضلال المبين . وقال الشاعر :

اثنـــان لا تقـــربهما أبداً الشرك بالله والاضرار بالنـــاس

وأكبر دليل على أن لفظ الاسلام جاء فى القرآن الكريم بمعنى التوحيد ، وأن التوحيد هو الأساس الحق فى كل دين ، قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام وقومه : « فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » وقوله « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وقوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » وقوله حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث،فاطر السموات والأرض أنت ولىي فى الدنيا

والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » وقوله : « وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

فسيدنا نوح ومن أتى بعده من الرسل عليهم الصلاة والسلام قد وصفوا بالاسلام وطلبوا من الله أن يتوفاهم على الاسلام الذى هو التوحيد ، والذى قد أصبح وصفاً خاصاً بالمسلمين فى كل أنحاء المعمورة . ولذلك خاطب الله رسوله وصفيه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . وقال حينما تم للمسلمين الأمر فى دينهم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

عبد الرحمن على حسين
مدرس أول بمدارس البنات الثانوية
سابقاً

الحث على تعليم القرآن والعلوم

قال المزنى : سمعت الامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه يقول : « من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

من هدى القرآن

قال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وقال جل ثناؤه: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن خير الناس فقال : « آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم » .

وعنه عليه السلام : « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله فى أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه » .

وعنه عليه السلام : « والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم » .

وعن علي رضى الله عنه : «أفضل الجهاد الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ، ومن شنأ الفاسقين ، وغضب لله ، غضب الله له » . .

هذه مقومات الحياة ، وروح الاجتماع ، ودعامة العمران . . بيد أنه منذ نشأة الدنيا لم تخل الأرض ممن انزوت عقولهم عن استيعاب الحكم الثمينة التى تشير إليها التعاليم الدينية ، وسيطرت الأهواء على قلوبهم ووجدانهم ، وتفاعلت الشهوات فى نفوسهم تفاعلا استحال إلى مرض نفسانى متأصل ، يشبه تماماً الأمراض الجسمانية التى تحتاج إلى تشخيص وعلاج ، أما التشخيص فمن خصائص الدين ، وأما العلاج

فهو مهمة عقلاء المكلفين ، الذين يتولون عظائم الأمور وعزائمها ، العلماء بأحكام الله ، ومراتب الاحتساب ، وكيفية إقامتها ، فان من لم يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، ويغلظ فى مقام اللين ، ويلين فى مقام الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الانكار إلا التمادى والاصرار .

هذا ، وكما لا يتم برء الجسم حتى ينقى من جراثيم الداء ، فكذلك لا يستقيم اعوجاج النفوس ، حتى تبرأ من الأدواء التى تزعها دائماً إلى حضيض الرذائل .

ومن رحمة الرب العلى القدير ، أنه كما هيأ للعلل الجسدية أطباء يسهرون على حمايتها من التضاؤل والسقم ، فانه أوجد عز شأنه على البسيطة فريقاً من عباده ، سمت أرواحهم ، وصفت نفوسهم ، وارتقت عقولهم ، وانبثق فى قلوبهم سنا الدين ، وكان فيهم الاستعداد لتذوق مغذى العلوم والمعارف اللدنية ، فتجنبوا مزالق العثار ، واستقذروا ما لا يلائم الطباع الكريمة ، وأودع فيهم جل جلاله من الأسرار ما أعدهم به للسهر على تهذيب الأرواح التى لا يتم بدونها قوام الأبدان .

ولا مراء فى أن الناس حيال الموعظة أحد اثنين : بر ، وفاجر ، أى عاقل رشيد يراقب الله ويخشاه ، ومأفون سفيه أطلق لشهواته العنان دون تدبر وتفكير .

ولما كان العالم مرتبطاً بوشائج الدين والانسانية أوجب الله تعالى على الأفراد والجماعات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأخذ بتلابيب من يشرف على الهاوية ؛ لأن الشرع ينظر دائماً للآثار المترتبة على الجرائم ، فيزجر عنها كي تهتدى الانسانية وتسعد ، وعلى هذا الاعتبار تأسست جميع أحكامه ، فألزم المرء بقيود ، وفرض عليه تعاليم ، منها ماينفرد بها فى خاصة نفسه ، ومنها مايشاركه فيها المجتمع . فاذا تبلد طبعه ، واعتل عقله ، وتسلطت الرذيلة على قلبه وعواطفه ، وانعدمت رقابة ضميره على سره وعلنه ، فانه فى هذه الحالة ، يبيح للجماعة مراقبته ، وتوقيع العقوبة الدينية عليه ، لاسيما إذا اعتدى على حقوق الغير ، ونال منهم بشروره ،

وآذاهم بجرائمه . . قال الرسول المعظم صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان ».

فاذا أظهر المجتمع الذى يمنى بمن انفعل المنكر بغرائزهم ، وخلبهم بلألائه الخادع ، سخطه لصنيعهم ؛ تحرجوا عن الجهر به ، وإبدائه علانية ، وأحجم من فى طبعه الاستعداد لتقليدهم عن الاحتكاك بهم ، سداً للائمة ، وحذراً من المؤاخذة . وبذلك ينحصر الداء ، ويأمن المجتمع شر انسياب العدوى . أما إذا تغاضى العقلاء عن تقويم المستهترين الماجنين ، الخارجين على قوانين الأخلاق ، وقواعد الآداب وسنن العادات والتقاليد الرفيعة ، فوالحالة هذه يكون للفجار عذرهم فى التمادى ، غير مافى ذلك من إطلاق لحرية من يتعشقون غوايتهم ؛ وفى هذا يكمن خطر مروع يهدد كيان المجتمع ، ويفكك روابط المودة ، وينتزع ثقة الأفراد ، ويزعزع رواسخ الاتحاد ، ويقوض أواصر الاخاء ، ويزلزل أسس البيئة ، ويقضى على العزة القومية ، وما لها من منعة وجلال .

فاذا فسدت القلوب ، وانتهكت الحرمات على مرأى ومسمع من الرأى العام ، دون أن تثور الغيرة الدينية ، فان المفسدة تكون أفشى وأسرع ذياعاً ، والبلوى أفدح وأعم « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده » الحديث ـ إذ يكون ذلك دليلا على انتصار عوامل الشر ، واستشراء مغرياتها بالأغلبية الساحقة . وبدهى ، فان معنى إنكار الشخص لعمل ما ، هو استهجانه ، واستقباح مزاولته ، وكلما كثر المفكرون من ناحية ، قل المفسدون من الناحية الأخرى ، وقوى الأمل فى تأثير المواعظ ، ونجاح دعوات الفضيلة .

الأمر بالمعروف هو الكوكب الذى يضىء مناهج السعادة ، والعامل الذى يعبد طرق الرشد ، وعدة المصلحين فى القضاء على خيالات الأبالسة ، وعزوة

المؤمنين ، وثروة الواعظين ، وأداة المتقين . ويكفى الآمرين بالمعروف مجداً أن يروموا هدف الأنبياء ، وينتظموا فى عقد وظيفتهم الخطيرة « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين » وحسبهم شرفاً وعزاً أن توجهم بديع السموات والأرض بتاج الفخار فيما أوحى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » . وماذا يطمح الانسان أن يرقى إليه أكرم من أن يكون « خليفة لله فى أرضه ، وخليفة لرسوله ، وخليفة لكتابه » .

وعى التاريخ فى سجلاته أجمل أحدوثة لرجال استمدوا من العقيدة الدينية لانسانيتهم نبلا ، ولنفسهم عزاً ، ولأرواحهم متعة ، فجابهوا الموت وتحدوا الارهاب ، ولم ينكصوا عما أيقنوا أنه الصواب ، وصاغوا عظاتهم حسب الظروف والملابسات ، ليناً يشبه هفيف النسيم ، وعنفاً يتجلجل كالصواعق ، وما ذلك فى الحقيقة سوى مظهر من مظاهر نهضة علمية واجتماعية ممتازة ، وحافز من عاطفة دينية ناضجة .

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المقياس الدقيق لسمو الأمم فى مجموعها ، والبوتقة التى يصهر فيها العقائد والثقافات ، فهو أيضاً معيار نفسية الأمم فى أفرادها ، ومدى قابلية طباعها وأخلاقها للصقل والتهذيب .

يقف الواعظ فوق أعواد المنابر ، أو وسط حلقة من أفراد الأمة ، يذكر الجماهير بأيام الله ، ويجلو لهم الكمال الانسانى فى الصلاة والصيام والزكاة والحج ، والاحسان وصلة الرحم ، والعفو عند المقدرة ، وبذل المعونة لذوى الحاجة ، والمساهمة فى المشروعات العمرانية ، والسهر على الآداب العامة ، وتقويم اعوجاج من يجد إلى تقويمهم سبيلا ، وحفظ الأسرار ، والنظر إلى الناس جميعاً نظرة مساواة

وإشراكهم معه فى حب الخير ، إلى آخر ما فى وجوه الأمر بالمعروف ، ويكشف لهم عن الأضرار المادية والأخلاقية ، والصحية ، فى إدمان تعاطى الكحول والمخدرات ، وفى الزنا ، والسرقة ، والتدليس ، والختل، والظلم، والحسد ، والنميمة، والتغرير ، والدس ، والوقيعة ، والرياء ، والسمعة ، وفى الميسر ، وقول الزور ، والفحش اللفظى والعملى ، وبطش القوى بالضعيف ، والقحة والتراشق بسب الدين ولعن الآباء ، وبذيء اللفظ ، وعدم مراعاة اللياقة، والخروج على آداب الاجتماع فى مختلف نواحيه وأوضاعه ؛ إلى آخر ما فى وجوه النهى عن المنكر .

فالمنصت للموعظة : إما جسداً آلياً ، تشتت المعصية لبه ، وتذهب الأهواء بقلبه شعاعاً ، ترن فى أذنه ألفاظ وعبارات ، ذات جرس ونغم وحروف وتوقيع ، فيها عذوبة وجاذبية وجمال ، ولكن لا يفهم لها معنى ، ولا يستخلص منها مغذى ، ولا يجنى ثمرة ، ولا يستنبط عبرة ، كالأبله المخبول الذى يقع الحادث الجلل تحت حواسه ، ولا يفقه منه إلا مايفقه الطفل من الخيالات المتحركة ، وهذا لا يكاد ينفلت حتى ينساق فى تياره كأنه لم يسمع شيئاً ، وكأن واعظاً رحيما لم يكلف نفسه مشقة الدرس والبحث ، والمراجعة والتنقيب ، ويعنيه السهر والتأمل ، ليجلو الموعظة فى ثوب قشيب وحلة باهرة ؛ ويقربها لأذهان العامة . « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون » . « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » . « فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » . « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فان الله يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون » . « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

أجل إن أمثال أولئك قد سقطوا عن مستوى الحيوانات الدنيا ، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا من أحط الكائنات ، ولهم قلوب لايعقلون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا . وذلك يرجع فى الغالب إلى اعتلال فى الطبع ، أعد القوى الشرية للانفعال ، ومن وصلت حالته النفسية إلى هذه الغاية من التعاسة ، فان هدايته تكون عسيرة ، وانتشاله من كبوته مجهد ؛ يحتاج لترويض طويل ، وعلاج مستمر . وقد يساعد فى زجره أن يصطدم بعارض خارجى عنيف ؛ فى الجسم إن كانت الفتوة هى الباعث على المنكر ، أو فى المال إن كان هو الحافز إلى الاجرام ؛ وقصارى القول فيما له ارتباط بالرذيلة ؛ ومن ثم يبصر النور والرشاد فى عظات الواعظين : « وأحيط بثمره ، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ؛ ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحداً » .

وإما منصت بأذن واعية ، وقلب حاضر ، أنى تلمس الموعظة حالة تنطبق عليه ، فتدوى فى أعماقه ، وتهز شعوره ، وتحرك إحساسه ، وتثير فى نفسه كوامن الندم والتوبة

« الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » . « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » ، « إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريماً » ، « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم »

فما تقدم نستنتج أن الرذيلة تشطر الانسانية شطرين تتغلغل فى أحدهما تغلغلا عميقاً مونساً ؛ والآخر تمر به مراً خفيفاً ظاهرياً ، ثم لا تلبث أن تنزوى آثارها ،

ويلتئم خدشها ـ الأول تصفق العظة فى أذنيه، وتطفو على المخيلة كالحبب والفقاقيع . والثانى تصقل قلبه ، وتثقف طبعه ، وتشع فى نواحى نفسه نوراً روحانياً ، وتسمو بعاطفته الانسانية إلى آفاق عالية من الترفع والاباء . « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، ثم إلى ربكم ترجعون» . « أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ، أمن يمشى سويا على صراط مستقيم» ، «ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ، إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ، وأقاموا الصلاة،ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ، وإلى الله المصير،ومايستوى الأعمى والبصير،ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور،وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء ،وما أنت بمسمع من فى القبور، إن أنت إلا نذير» ، «لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين» ، «أفمن اتبع رضوان الله ، كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير» ، «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض،أم نجعل المتقين كالفجار» ، «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة،أصحاب الجنة هم الفائزون» ، «يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» ...

آيات زكية طاهرة ، تروض النفوس الجامحة ، وتلين القلوب القاسية ، وتبده الانسان فى غوايته فتثنيه ، وتتلى على الطائش فتلويه

آيات زكية حكيمة ، تقيس أعمال الناس ، وتزنها بدقة ، فلينظر المرء أية كفة تخلق بأعماله . وهو على نفسه بصير، والمغرم والمغنم له،ولن ينفعه أن يخدع نفسه ويستسلم لما يضره، ولا يعود عليه بجدوى . وفقنا الله للعمل بكتابه الكريم،وهدى نبيه الأمين .

سيد غريب منصور
شيخ مقرأة السيدة زينب

المصحف

أصله واشتقاقه :

المصحف بتثليث الميم والضم أفصحها[1] . فأقتصر عليه فأقول :

هو اسم مفعول من قولك أصحفت الصحائف القمطر إذا جمعتها ووضعتها فيه لصيانتها ، وعلى هذا فلفظ المصحف حقيقة لغوية فى القمطر ، وهو ما يصان فيه الكتب ، وإنما سميت الصحائف مصحفاً مجازاً من باب تسمية الشيء باسم مجاوره ، كما قالوا فى النهر إنه اسم للمجرى المعروف حقيقة، وسمى الماء الذى يجرى فيه نهراً تسمية له باسم مجاوره مجازاً .

من سماه مصحفاً ؟

الذين سموه مصحفاً هم الصحابة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وذلك أن عمر جاء فقال : إن القتل قد استحر[2] يوم اليمامة[3] بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال أبو بكر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعه عمر حتى شرح الله صدره لذلك ، فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن، وزيد هذا هو كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه

«١» القياس يقتضى تعين الضم لأنه من أفصح بمعنى جمع لأنه جمع فيه سائر الصحف

«٢» استحر أى كثر واشتد ، وينسب المكروه إلى الحر والمحبوب إلى البرد .

«٣» اليمامة مدينة باليمن وهى فى عداد أرض نجد .

وسلم . قال زيد : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع[١] والعسب[٢] واللخاف[٣] وصدور الرجال ، فلما أتم جمعه وضع الصحائف بين يدى أبى بكر ، ثم ائتمروا وتشاوروا ما يسمونه ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف . وبقى عند أبى بكر مدة خلافته ، ثم عند عمر كذلك ، وبعده كان عند السيدة حفصة بنته زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلافة عثمان .

أول تعدد المصاحف :

وفى خلافة عثمان رضى الله عنه جاءه حذيفة بن اليمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية[٤] وأذربيجان[٥] مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القرآن ، فقد كان بعض النـاس يقول لبعض : قراءتى خير من قراءتك ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان لحفصة أن أرسلى إلينا بالصحف « هى التى كتبت فى عهد أبى بكر » ننسخها فى المصـاحف ثم نردها إليك ، فأرسلتها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . ولمـا تم نسخها رد عثمان المصحف إلى

(١) الرقاع : جمع رقعة وهى ما يكتب فيها وقد تكون من جلد أو ورق .

(٢) العسب بضم العين والسين جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض .

(٣) اللخاف بكسر اللام جمع لخفة بفتح اللام وهى الحجارة الرقيقة .

(٤) إرمينية : بكسر الهمزة وتخفيف الياء سميت بارمين من ذرية نوح عليه السلام وهو أول من نزل بها سميت باسمه .

(٥) أذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة .

حفصة ، وأمر باحراق ما سوى ذلك ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه من الصحف التي كانت عند حفصة . قال أبوعمرو الدانى : أكثر العلماء على أن عثمان كتب أربعة مصاحف ، فبعث إلى البصرة بواحد ، وإلى الكوفة بثان ، وإلى الشام بثالث ، وأبقى الرابع عنده بالمدينة . وقال أبوحاتم السجستانى : كتب عثمان سبعة مصاحف : الأربعة المتقدمة ، والخامس إلى مكة ، والسادس إلى اليمن ، والسابع إلى البحرين .

إجلال المصحف وتكريمه

وفيه مسائل :

المسألة الأولى — أجمع المسلمون على وجوب احترام المصحف وصيانته ممايشعر بغير ذلك . فمن ذلك ما قاله النووى من أنه يستحب القيام للمصحف إذا قدم أحد به عليه ، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى . وقد قررت دلائل استحباب القيام للمصحف في الجزء الذى جمعته فيه . وروينا فى مسند الدارمى بإسناد صحيح عن ابن أبى مليكه أن عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول : كتاب ربى كتاب ربى ! .

المسألة الثانيه — قال الجلال السيوطى: يستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة بن أبى جهل كان يفعله ، ولأنه هدية من الله، وشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير . وفى رواية عن أحمد استحبابه .

المسألة الثالثة — قال العلماء من شروط تصغير الاسم أن يكون قابلا للتصغير فلا تصغر الاسماء المعظمة كاسماء الله وأنبيائه وملائكته لما يشعر به التصغير من التحقير غالباً . وعلى هذا فلا يصح لاحد أن يقول مصيحف إلا إذا وجدت قرينة ظاهرة تنفى مايشعر به التصغير من التحقير كأن يكون المصحف صغير الحجم، ومع

ذلك فتركه أولى . قال الجلال السيوطي روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال : لايقل أحدكم مصيحف ولا مسيجد ، ما كان لله تعالى فهو عظيم .

المسألة الرابعة — قال الفقهاء لا يجوز كتابة المصحف بحروف صغيرة جدا لا تمكن قراءتها ولا تدل على أنها مصحف فان كتابته على هذا النحو قد يؤدى إلى امتهانه وعدم احترامه ووضعه فى موضع لايليق به ممن لايعرف أنه مصحف، وذلك كالمصاحف التى يحملها بعض الناس فى العلب الصغيرة . واتفق العلماء على تحسين كتابة المصاحف وتبيينها وايضاحها .

المسألة الخامسة — قال الفقهاء لايصح وضع المصحف فى مستوى أشياء بجانبه بل لابد أن يوضع على شيء حتى يكون مرتفعاً تعظيما له واحتراما، وقالوا يحرم توسد المصحف أى جعله وسادة بأن يضع الانسان رأسه فوقه، وكذلك يحرم وضعه تحت الوسادة ، ولو كان القصد التبرك والتحصن .

المسألة السادسة — قال العلماء قراءة القرآن فى المصحف أفضل لأن النظر إليه عبادة ، فالقارىء فيه جمع بين عبادتين هما النظر والقراءة . وترك القراءة فيه هجر له وجفوة . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال« الغرباء فى الدنيا أربعة» وعد منها مصحفاً فى بيت لايقرأ فيه» . ونقل الغزالى فى الاحياء أن كثيرين من الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرؤن فى المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. قال النووى: ولعلهم أرادوا بذلك فى حق من يستوى خشوعه وحضور قلبه فى الحالتين فأما من يزيد خشوعه وحضور قلبه وتدبره فى القراءة عن ظهر القلب فهى أفضل فى حقه. والله أعلم. وفقنا الله لاحترام القرآن وأهله والعمل به. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته آمين .

محمد عبد الله البلبيسى
من العلماء ــ شيخ مقرأة الامام الليث

كيف نتقرب إلى الله

فى أثر قدسى كريم : « من تقرب إلى شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ،ومن تقرب إلى ذراعاً ، تقربت إليه باعاً . . . »

فما أروع هذه الرحمة التى تفيض فى هذا الأثر الجليل ، وما أجمل وقعه فى نفس المؤمن .

أجل ! إنه « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » .

سبحانك ربى بحكمتك التامة ، أحطت الانسان برحمتك الواسعة ، فى جملته جرماً ، وفى تفصيله عضواً عضواً ، حتى لم تبق فيه بضعة ليس لها قانون . . . سبحانك وإليك المصير .

تقرب أيها العبد إلى مولاك ، لتحظى من لدنه بالمجد والكرامة ، وانض عنك أطمار العوائق المادية ، لتتخطى الحواجز والعقبات ؛ إذ لا يخفى أن هناك عوامل تقرب العباد إلى الله تعالى ، كل حسب اجتهاده ، حتى ليبلغ من القرب درجة لا تمتاز عنها غير درجة النبوة ، كما أن ثمة عوامل أخرى ترسب بالعبد رسوباً سحيقاً ، حتى لتكون خطراته وأوهامه دائرة فى حيز الشيطان الغوى .

فاذا أخذ الانسان نفسه بالقوانين الحكيمة التى تتمثل فى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، لا ينحرف عن حدودها ، ولا ينبو عن مجالها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وهى أداة التعبد والخلق والاجتماع ، وحرص على دينه ، ومما عقله إلى فهم تعاليمه ، وأهدافها المادية والمعنوية ، فانه لا يعزم أدنى عزم يخالف هذه التعاليم ،

أو فروعها، فلا يسرق ، ولا يزنى ، ولا يسكر،ولا يقامر، ولا يكذب،ولا يغتاب، ولا يشهد الزور ، ولا يقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، أى يكون نموذجاً على الكمال النفسانى ، ويمثل فى الأرض طهر السماء وجلالها ، وإن من هذه صفته ، فإن قيمته ترتفع على كل قيمة ، ومنزلته تعلو على كل منزلة،ويكون للانسانية مثالا رائعاً من مثل الفضيلة ، يكون للدين فى فرائضه، وللمجتمع فى أخلاقه ، ولنفسه فى حضرة رب الأرباب ، ومن ذا يكون أرضى عيشة ، ممن هو من رضوان الله فى عز وكرامة، ومن وغايته فى أمن ووقاية ، ومن دينه فى حرز من النواية ، ومن خلقه فى سياج من الدنايا ، ومن ضميره فى حذر من الضراوة ، فلا يصيبه فى دنياه مكروه ، ولا يؤرقه هم أو ضيق ولا يزعجه غم أو أسى. أما فى الآخرة ففى جنة عالية ، قطوفها دانية ، ظلها ظليل ، ماؤها سلسبيل ، ويكون من الذين يزكيهم الله ، ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ومن المقرر أن الانسان ابتلى فى هذه الحياة بقوتين تتنازعانه : قوة مادية تحمله على الضلال ، وقوة روحانية تضىء له معالم الهدى، فاذا اتجهت إرادة المرء وعزم على الشر ، تناوشته أخطار وبيئة ، تقضى على مثله العليا ، التى لا تقوم للحياة قائمة بدونها ، فتتخلخل عقيدته وتسود آدابه ، وتغلب عليه بهيمية حيوانية لا تليق بكائن يحترم نفسه ، ويشعر لها بمكانة واعتبار ، والاله الكريم لا يرضى لعبده أن ينحط عن المستوى الروحانى الرفيع ، لاسيما وأنه بحكم ما أودع فيه سبحانه من قوى عاقلة وعزيمة يستطيع أن يقارن بين المنفعة والمفسدة ، ويميز بين الخير والشر ويحزم ما يرغب إليه ، ولذا فقد دعاه جل جلاله إلى حضرته وفسيح رحابه « ففروا إلى الله ، إنى لكم منه نذير مبين » .

والفرار إلى الله عز شأنه معناه البعد عما يوصم الانسان بوصمة عار، لأنه تعالى أمر عباده أن يكونوا مثاليين فى العقيدة وفى الخلق ، ليكون فيهم الاستعداد للفرار

إليه والتقرب منـــه ، ولاريب فى أن من يروض نفسه ويهذبها ، ويطهرها من أدران البهيمية ، ويجنبها مزالق الشرور والآثام ، حتى يصير مستعداً للفرار إلى الله تعالى ، فان قوة الأرض لاتصمد لغضبه ، وإن باباً فى السماء لايوصد عن دعوته .

هذا من أمر القوة الروحانية ، أما القوة المادية أو بعبارة أوسع القوة الشرية . فان انفعالها يعوق المرء دائماً عن ركب البررة الأطهار ، ويجعله معرضاً للرسوب إلى الحضيض . وقد أجمل القرآن المكنون النوازع المفضية إلى انفعالها فى أمرين أساسيين : « المال والبنون » . فكل ما تشعب فى مخيلة الشخص ، وتوالد من أهواء وآمال ، فانما يتفرع عنهما وينث من نغرهما ، تلمس ذلك واضحاً فى آية كريمة أخرى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعـــام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا » . . . فقد انحصر متاع هذه الحياة العابرة فيما قصه الله علينا .

وهذا كما دلت التجارب ، متاع متقلب لادوام له ، مهما انصرفت إليه الاوهام وفى طغيانه اضمحلال للقوى المعنوية ، وحتف للنفوس .

فاذا طغت شهوة النساء على القلوب ، وتمرست بالغرائز ، فانها تعرض الانسان لأخطار عنيفة قاتلة ، منها ما يرتبط بالأخلاق ، ومنها ما يتعلق بالصحة ، فمن الناحية الخلقية ، أنها دافع ملح ، فى إثارة العاطفة البهيمية فينطلق المرء كالحيوان ، لا يتدبر ولا يرعوى ، مضحياً فى سبيل قضاء وطره بكرامته وخلقه ، بل ودينه أيضاً ، ومتى آلت نهايته إلى هذا المصير السيء ، رجع القهقرى ، وأوشك على التهدم ؛ ومن الناحية الصحية ، فقد يشاهد الزناة ، يبوءون بأمراض خبيثة مؤلمة ، لاتفتأ جراثيمها رغم المعالجة والبرء ، تتوالد فى القنوات الدموية ، المتوطة بأعضاء التناسل وتتأثر بها ذراريهم ، فى حالة تكوينهم أجنة ، تأثراً يبدو على صحتهم من المهد إلى اللحد وقد لايطول بهم الأجل ، وبذلك يجنى الزناة على أخلاقهم ، وصحتهم ، وعلى ذرية

بريئة ، لم تجترح إثما تجازى عليه بأقصى عقاب : «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وطغيان شهوة البنين ، يهون على الانسان اقتراف المحظورات ، ويربى عاطفة الأنانية ، فلا يتحرج عن الظلم ، ولا يتورع عن اغتصاب الحقوق ، فان كان من الدهماء ، انطلق كالوحش الضارى ، يزعج الآمنين ، ويفجع الهادئين ؛ وإن كان ذا حيثية وجاه ، لا يستقذر مد يده لرشوة دنيئة ؛ ولا يتعفف عن حقير ؛ وينزوى فى هذه الدائرة ؛ لا يحفل إن سعد هو وبنوه بما يئن منه المجتمع؛ من آلام وأحزان ويلتهمه من أوصاب ومتربة . ولطغيان شهوة المال سورة ؛ يستر نوسها العقل ويحجب عن البصيرة ضوء اليقين؛ويبهنه الأعصاب عن مواقف الاعتدال والقصد. والمال سلاح ذوحدين ؛ فاذا بذل فى غير مصارفه ؛ وأصاب غير أهدافه الطبيعية ساق إلى هاوية الفناء ؛ يخطر ذويه ؛ فى مظاهر الكبرياء والغطرسة ؛ ويرتاد به مباءة الفسق والضلال: من سكر وزنا ، ويضحى من أجله بانسانيته وكرامته ؛ يسرق؛ويرتشى ؛ ويقامر ؛ ويتستر على المنكر ؛ إلى آخر الأمثلة التى ألممنا آنفاً منها بطرف .

وهل ثمة أشد أثراً فى ضراوة الانسان ؛ وانفعال القوى الشرية فى نفسه من المال ؟ وهل ثمة أجل موعظة ؛ وأبلغ عبرة ؛ مما ضربه الله تعالى لعباده من أمثال يستشف العاقل منها حكمة ورشداً ؟ «قال له صاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ؛ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ..» فهذه الآيات الكريمة بين مبتعد عن خالقه ومتقرب إليه تصور طغيان الثراء بالنفوس تصويراً نفسانياً محكماً وتقرر أن متاع الدنيا إلى نفاد مهما أضفت عليه المظاهر الخادعة صفة الخلود : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا

كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً»

هذا وإن التقرب إلى الله تعالى ليس عصيا على من يبتغيه ويحفزه إليه إحساس نفسانى صادق . فان من يفند هواجس نفسه وشواغلها المادية التى تسيطر على أفكاره وتبدد لبه أيدى سباء ويود أن ينحيها عنه ويتخفف من عبئها المرهق ، ففى وسعه أن يتوصل إلى ذلك إن لم يكن طفرة فتدريجياً إلى أن يحين الوقت الذى يتخلص فيه منها نهائيا ويسلك سبيل المقربين .

والطريقة العملية أن يخصص بادىء ذى بدء يوما فى الاسبوع أو يومين إن استطاع يتفرغ فيهما بكلياته وجزئياته ، بقلبه ومشاعره ، بعواطفه ووجدانه ، لخالقه تعالى وحسب ، يذكره لا يريم ، فاذا مر بخاطره طائف من الشيطان استغفر وأدبر كيلا يصرفه عما هو بسبيله من التأمل فى مشاهد القدس والتمتع بفيوضات الرحمات وسبحات الجلال ، وبعد أن يجول هذه الجولة الصمدانية فلينظر أى سعادة تملك عليه أقطار نفسه فتنسيه كل الملاذ الكاذبة والأهواء البراقة ، سعادة لا تقاس بها الدنيا بما أتخمت به من زخارف وخدع .

ولا يخفى أن لكل داء جسمانى وروحى ، علاجا ، وليس كذكر الله تعالى والتقرب إليه وقاية وعلاجاً ، لعموم الأمراض والعلل ، فهو نجاة الأبدان ، وشفاء النفوس ، وسعادة القلوب ، وراحة البال ، وسلوة الأرواح ، وهو الجنة الفيحاء ، فى صحارى الدنيا ترتادها الأرواح الهائمة الشاردة ، فتطمئن وتهنأ ، وتتلذذ وتنعم ، وهو القطوف الدانية ، التى فى مذاقها الشهى ، رفاهية ، وفيها سمو ومجد ، وهو المركب الذلول ، الذى يسعى براكبه إلى الفردوس ، فى دار الخلود ، أى هو براق السعادة ، ولواء السلام . . يحاط الانسان بالرذيلة وتأخذ عليه منافذ

الهدى والتبصر ؛ فاذا ذكر الله ؛ كان كمن أضاء مصباحاً فى حجرة معتمة ؛ فلا تلبث أن تتبدد منها دياجير الليلة الليلاء ضريرة النجم .

إذا ذكر العبد إلهه القدير وتمثل بطشه وعقابه ؛ وأن سخطه تعالى على عبد ؛ معناه ضياع كرامته ومجده وعزه ؛ وإقرار شقائه ؛ وتقويض مقامه ؛ وهلاكه فى الأولى والعقبى ، تجنب جهده المزالق التى تقسره عليها ؛ وحافظ على الفوز برضائه الذى معناه الكرامة والمجد والعز ؛ والنعيم فى الأولى والعقبى ؛ وهذا هو القرب من الله تعالى فى أصدق معانيه ؛ فمن كان فيه الاستعداد ، ووجه همه إلى هذا الشرف الأسمى فنى هذه الحالة ينشغل قلبه بالله ؛ ويستوعب الحكم والمعارف ؛ ويتسع لكائنات السموات والأرض ؛ فيرى الله فى الشموس البازغة ؛ والأقمار الدائرة، والنجوم المتألقة ؛ وفى العيون الجارية ؛ وفى الحدائق المكللة ؛ وفى الأشجار السامقة ، وفى الزهور المتباينة ؛ وفى تغريد البلابل ؛ وترجيع القمارى ؛ وزقزقة العصافير ؛ وفى البعوضة المجنحة ؛ وفى الذرة السابحة ؛ وفى صماخ يسمع ؛ وشحمة تبصر ؛ ومضغة تسيطر ؛ وفى ظفر وناب ، وفى معادن الارض والسموات ، وفى الوهاد والقنن ، وفى المغاور والكهوف ، وفى الامصار والقرى ، وفى الوديان والحزون ، وفى كل عامر وغامر ، فكل شىء يدل على الله ، ويجذب إليه الافئدة ، ويستهوى الالباب .

فمن بلغت به همته هذا المبلغ ، ورقت نفسه هذا المرتقى ، كان هو الانسان السعيد . وفقنا الله ، وهدانا . إنه سميع مجيب .

عبد الحميد حجازى
كاتب مقرأة السيدة زينب

أطباء الاتحاد العام لجماعة القراء

١ — حضرة الدكتور محمد نور الدين مصطفى الباجورى
٧٤ شارع فؤاد الأول ـ فوق مكتب بريد بولاق
مواعيد العيادة : من ٦ — ٨ مساء

٢ — حضرة الدكتور عمر زكى
شارع سعودى ـ باب الشعرية

٣ — حضرة الدكتور على عبده
شارع السد ـ عند أبو الريش

تطوع حضرات الأطباء الفضلاء بالكشف على المرضى من القراء أعضاء الاتحاد بالمجان ، بمقتضى جوابات تحويل من مكتب الاتحاد ، والاتحاد العام يشكر لحضرات الأطباء عطفهم على أهل القرآن ، وينبه القراء إلى ذلك .

اشتراكات كنوز الفرقان

تعتذر إدارة المجلة إلى حضرات مشتركيها وقرائها الفضلاء من تأخيرها فى هذا العام عن الظهور فى مواعيدها المحددة لأسباب خارجة عن إرادتها، وقد عملت على ملافاتها ، وتعدهم باصدارها في مواعيدها ، ومن أجل ذلك ستصدر العددين الحادى عشر والثانى عشر فى أقرب فرصة إن شاء الله .

وبهذه المناسبة ، وبمناسبة حلول العام الهجرى ووجوب تنظيم حساباتها ، ترجو من حضرات المشتركين أن يوافوها باشتراكاتهم الجديدة مشكورين

السنة الأولى

العددان : التاسع والعاشر